اهتمام السلاطين والأمراء بالحيوان في العصر الإسلامي

تأليف

الدكتورة دنيا عبد علي الشمري
كلية الآداب / قسم التاريخ / جامعة البصرة

1437هـ
2016م

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الهادي الأمين ، نبينا محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الذين تبعوه بإحسان إلى يوم الدين .

أرتبط الإنسان منذ أن خلق بالحيوانات يأكل من لحومها، ويشرب ألبانها، ويستعمل جلودها بيوتا له، ويستدفي بأصوافها وأوبارها وفرائها، قال الباري (β): ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾.

كما أتخذ الإنسان من منتجات هذه الحيوانات دواء لأمراضه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ

1 - سورة النحل ، الآية ، 5.

2 - سورة النحل ، الآية ، 8.

شَفَاءَ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾، حتى أن أول مرة تعلم فيها الإنسان كيف يدفن إنساناً ميتاً، كانت عن طريق محاكاته للغراب، كما قال الله (β) في ذلك: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٤﴾.

كما تعلم الإنسان من الحيوانات البكور في السعي على الرزق، وتعلم كثيرا من نظم حياة الأسر، وتقنيات الحرب والدفاع، والصبر على العمل، كالنحل والإبل، وبناء المنازل وهندستها، كما تفعل الطيور، ونظام المعيشة وادخار الأقوات، كما يفعل النمل، وتعلم الطيران من الطائر حتى وصل الإنسان إلى اختراع الطائرة يحاكي بها الطائر، كما تعلم الإنسان من الحيوانات المائية والبرمائية كثيراً من الصناعات والاختراعات، كالسفن والغواصات وغيرها.

لهذه الأسباب وغيرها، شرف الله تعالى الحيوانات بإطلاق أسماء بعضها على سور القرآن الكريم، ومنها السور الطويلة مثل سورة البقرة، وسورة الأنعام، وسورة النحل، والسور المتوسطة كسورة النمل، وسورة العنكبوت، ومنها السور القصيرة، كسورة العاديات «أي: الخيل»، وسورة الفيل إضافة إلى ذكر أكثر من تسع وتسعين نوعاً من أنواع الحيوانات والطيور والحشرات التي لا تزال بيننا إلى الآن⁽⁵⁾.

إذاً رعاية الحيوانات وتربيتها ليست بالأمر الجديد على الإنسان، فهي تعود إلى عصور سحيقة حيث استخدمت للانتفاع فيها والاستئناس بها، وكانت تأخذ بعداً جمالياً، لاسيما في العصور الإسلامية، فقد عرف العالم الإسلامي حقائق الحيوان في صور متعددة، إذ عني ملوك الدولة الأموية، والعباسية بالحيوانات، ومن جاء بعدهم، وعملوا على اقتنائها والعناية بها، وكذلك اهتموا بأنواع الطيور وبخاصة، طيور الصيد، والقنص من النسور، والصقور، وغيرها.

³ - سورة النحل، الآية، 69.

⁴ - سورة المائدة، الآية، 31.

⁵ - ينظر النجار، زغلول، راغب محمد: من آيات الأعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم،

وكانوا كثيراً ما يرتادون البادية للصيد، ولهذا أنشأوا في الصحراء مراكز، وقصوراً عدة لهذا الغرض توافرت فيها وسائل الراحة ، والاستحمام، ولا يزال بعض أطلال هذه القصور باقياً حتى اليوم، هذا إلى جانب عنايتهم الفائقة بالخيل، وحلبات السباق⁽⁶⁾.

فيما يلي أمثلة من أعجب ما حفظه التاريخ الإسلامي عن شغف الخلفاء والملوك والعظماء باقتناء الحيوانات ، ومغالاتهم في العناية بها ، وبتعليمها، وتربيتها، وبيان مقاصدهم ، ومذاهبهم وميولهم المدهشة ، وتفننهم فيها، وما يتخلل ذلك من غرائب الأخبار ، وطرف التاريخ.

⁶ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، 200/5؛ 205.